

ففي الحي الذي
لا يموت

رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
٢٠١١/٥/١٨٥٣

٨١١,٩

نزال ، رانة مصطفى

في الحى الذى لا يموت / رانة مصطفى نزال - عمان : دار أزمنة ٢٠١١.

(١١٦) ص

ر.أ. ٢٠١١/٥/١٨٥٣

الواصفات : / الشعر العربى // العصر الحديث/

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه
ولا يعبر هذا المصنف عن رأيدائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

(ردمك) ISBN 978-9957-09-471-3

في الحى الذى لا يموت : رانة مصطفى نزال (كاتبة من الأردن)

الطبعة الأولى : 2011

جميع الحقوق محفوظة بموجب اتفاق ©



أزمنة للنشر والتوزيع

تلفاكس : 5522544

ص.ب: 950252 عمان 11195

شارع وادي صقرة ، عمارة الدوحة ، ط 4

E.MailLinfo@azminah.com

Website:http://www.azminah.com

All right reserved. No Part of this book may be reproduced, stored in all retrieval system or trasmitted in any form or by any mean wiouthout prior permissionin writingof the publisher.

جميع الحقوق محفوظة ، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر .

فوتغراف الغلاف : Chaerul Uman (أندونيسيا)

التحويل الجرافيكى وتصميم الغلاف : أزمنة (إلياس فركوح) / الأردن

التنضيد والإخراج الداخلى : أزمنة (نسرین العجو)

الطباعة : السفير / عمان - الأردن

تاريخ الصدور : تموز/ يوليو 2011



رانة نزال
في الحي الذي
لا يموت

الإهداء

«له .. في بياض غيابه»

في الحيّ الذي لا يموت
تُبشُّ قبور الأحياء
وترفعُ شواهدُها .. جوارحُها
مستسلمةٌ للبياض
هكذا يقتلون المحبة في الحبِّ
ويمشون في جنازتهِ
في الحيّ الذي لا يموت
ما زال
ثمّة من يؤدّي واجبَ العزاء

وأنا مسكونة بك

.

.

.

.

أَخَذْتَنِي عَنْكَ

- مِنْ تَعَبٍ -

غَيُوبَةِ النَّوْمِ

فَقَطْ

كَلِّ بِخَيْرٍ إِذَا

وأنت اللامرئيُّ
اللامقروء
عصيُّ على التعريف
حيث الحلاوةُ
والطلاوةُ تسحبني
فأردَّ عينَ الجبرِّ عني .

مقترناً بي

ضياء الملامح الشاردة

وعتمة الأنفاس تسيل من كوة في أصابعي النحيلة

كم تقترن العتمة المضيئة بك

حين أغط في غيبهب النعاس الثقيل

فإليك عني
ولا تمس بأنفاسك
قيظ اللحظ المعلق على الهناك
البعيد الغائر في كل ما سواك
حيث لا أنت أنت
والأنا أنا
أنا كليّ المكحول بالبعد

منهكة
ضجرة
ضجري أنك لست معي

وتلك العِبرَةُ المَطرِزَةُ بالفداء المَكتُم
تلك الشَّفِرة
لا وسيط يبعثها
ولا يد تخطّ حروفها المألحة

كَلِّ فِيهِ

وَمِنْهُ

فَكَيْفَ يَغِيبُ

وَكَيْفَ تَرْنُ أْبْدِيَّتُهُ فِي بئرِ الأَيَّامِ

دُونِما حَاجَةٌ لِلوَساطَةِ وَالوَسِيطِ

فَأَلْقَانِي دَوْمًا مَعَهُ

يَنْقُطُ عَسَلُ الْفِكْرَةِ

نَقْطَةً نَقْطَةً

وَبِلا مَقْدِمَاتٍ

لَا يَذُوبُ

وَلَا يَذُوبُ الْحَنِينُ

تَرَحَّمْ هَذَا الْعَمْرُ عَلَى أَيَّامِهِ الْخَوَالِي
وَصُرِّقِي الْخَالِيَةَ
كُفِّنْ سَوَادَهَا بَبْيَاضِ الْبَرْقِ الْخَاطِفِ
وَرَقَصْ الْفَرْحَ رَقِصَتَهُ الْمَحْمُومَةِ
لَمْ يَثْنِهِ بَيْنَ جَنْحِيهِ
تَغْلَغُلُ الْفَقْدِ
بَلْ
زَادَهُ لَهَوًا
مَجُونًا
عَسْفًا

كَانَ يَدْرِي بِالَّذِي يَدْرِيه مِنَ الْخَوَاتِيمِ الْكَالِحَاتِ

هو التفاح ضرع الأمانى
وسهد الموبقات على غصنٍ مقطوعٍ

ينام

ويمشي على خد الكلام الطريِّ
ولا يصدّق غوايتهُ

بينَ البينِ

كلاليبَ الروح المترعة بأرجاسها
وسياطَ التلّطي

بينَ

بينَ ممكننا وحتفنا

فأرأفُ يا ضليلَ القلبِ بي

وتحنّ

طأ أرضي بخفة الرّهام وخفيته

فبسكر التمرة

عشقُ طراد الفرائس
وفيها ترجمة المدى المسفوح عند خاطرة وَلَعِها الضاري
وحقدها الأزليّ
لما خطى شَبَحٌ آخرُ عتبة الباب

تأثقة إلى تقواك
أنا
وصلاتك الزاهدة في
لدعائك
ورجائك
للشجر الجائع أن.....

ظليّ في أديم صلاتي
ودوام ضراعتها كي تبقى
وتظليّ خضراء
على قفر الصمت
فيا هذا
عادة العايب الصمت
التنقل برجات فاضحة
بمزيتته المختبرة
وبخوفه من اقتراف الكلام
فهل
نمتحن الأشواق وذكرياتنا في السفر

نحطُّ عنا الرحال
فقط
نحطُّ عنا الرحال
فَ
لعله يأتي
يلوّح بيده
يخلع باب الترقب
لتسري رعونته أيامه ولياليه
في الأوصال المتثلّجة جذورها
والأوصال المكلومة
فَيَدُّ نبضي
تتنفض كلما مسّتها
أو لمستها نسمةً باردة
تنوّر ما بي

تُغْضِبُنِي
لأَصِيرَ قُطْبَ رَحَى الْخُسَارَاتِ
أَخْسِرُ مَنْ أَخْسِرُ

....

مَا أَخْسِرُ
حَتَّى لَا أَفْرُطَ فِيهَا

طفلاً الحرائق الواهمة أنتَ
ونِرون روما المحترقة
ليت أنَّك تَحَيَّلْتَ نارَ إبراهيم
كي أسلمك مفاتيح يقيني
هيت لي

وتهبّ الريح
تمسّط ما ذريته فيّ
فلا أجد غير عطن في بركة آسنة الطبع
تغطّي صفحة مائها المطحلب باخضرارٍ قاتم
تفسّر معنى الرغبة تلك
تلك توق العاشق للتلاشي
حمّى آهاته المدلاة
أقراطاً على كتف مساء
معراجهُ .. معللٌ ... لا معلّق
إذاً
لا أحبك لصاً
تبيح لأُمارة نفسك ما تبيح
وترضى عليها أن تعدّني امرأةً
في جرن النساء الباهتات

ف (أحبّ حبّيك هوناً ما)

من

فالليل أضناني

وفيه بسطت كفّ الهوى

ورعيت العزلة فيه

وصلّيت بمحرابك

قُلْ لِي
كيف ترعى حضوري إنْ اشتقتُ
كيف تنور أيامي ؟

أبللذائذ التي استطبتُ
وبالغد الموقَّع باسمي
يا أبا الزفير المحمَّل بالاختيار
كلّ ماعدا الحبّ
تفاصيل مضيئة
أما هو
فعمّة خرقاء

ولا عودٌ يرُدُّ الرَّمقَ إلى روحِهِ الظَّامَّةِ
بزمهريرٍ وردِّها
وسخَطها المشتعلِ بالسَّباتِ
في كنفِها المُضيءِ
حينَ تَغمرُنا الشمسُ في صَحونَا
ونغمضُ العيونَ
سأغْمضُ عينيَّ
كي أتأملَ جِواريَّ
كثيرَ عطاياكَ

لا موعد في الموعدِ
لا وقت يحين للوقتِ
هي الرحلة الآجلة
خشخاشها المتبّل بزعفران الوعد
ظلُّه الترابُ
وظليلُهُ الحبّ
كلّا
فما عمّر وردّ يوماً
ما كحلّ بعيونه الواسعة صحراء الأبد
فقط
خطّ على صخرها ظلّ حفرة وغفى
فاعطني يدك
لأزرع الآتي
من الخصب

في السؤال
كيف تصير الصحراء جنناً وارفة
ورحيق أزهارها ينادي ويناغي

فهبْ كلَّك لما لا يريحك
كي ترتاح
فلا يغيب محاق القمر إلا في استدارته
تلك التي
تُسلمنا لحراك الضلوع
وتنادم اللّمع
مع خوافقنا الهاربة

وأَتَذَكِّرُنِي

حِينَ

كُنْتُ ذَاتَ صَبَاحٍ حَمَامَتُهُ النَّائِحَةُ

وَكُنْتُ أَحْمِلُنِي دَائِمًا

فِي عَيُونِهَا السَّائِلَةَ

وَأَسْأَلُ
لِمَنْ تَدَّقُ وَلَائِمُ الْفَرْحِ قَارِعَةَ الطَّرِيقِ
هَلْ تَمَّ طَرِيقٌ؟

وَفِي الْفَنْجَانِ تَلْمَعُ يَدُ الْقَدْرِ الرَّاعِفَةِ
الرَّاجِفَةِ

وهذا الصباح
أخضر راعف
مهور بالصهيل
يَمْسُكُ بيديه عنانَ القُبُلِ
ويطلق زقزقاته بلا ادعاء
كعصفورٍ قبل أمسه
طار
يقصف بعينه البرد
وما عاد يذكر عشه

فلوّن ما شئتَ
بما تشاء
سأتركُ بياضَ اللوحة لك
ولي أن أحكم لحظة تحطّ الفرشاة
على ريشها وهانئةً
وسنةً
لو تطير ...

لنرَقِبَ بلا ترَقَّب
غِيْطَانَ زَرْعِهَا الواجِمِ
نَحْصِدُ ما اقْتَرَفَتْ يَدانَا
لَمَّا
خُنَّا ما نَصَبُوا إِلَيْهِ

وَلِنَسْأَلَ
لَا عَنَّا
وَلَا فِينَا
السُّؤَالَ السَّحِيقَ
أَيْنَا أَوْ دَعْنَا حِجْرَهُ الْقَارِصَ

كان النوى
صوت الصمت الباهر
فاخترنا أن ننأى
فتلمسنا أوجاعنا فيه حين عرفنا أنه
ضجيج الداخل واحتشاده بالمرارة
خُفنا
ركضنا
وأدركنا أن لا مفرّ

لا يشبه البحر حبي
ولا شيء يربطه بالفردوس
فهو الرَّمْلُ الناعم يتخلل الأصابع
يتوكأ عصا النمنمات
ويباغت نفسه حين يضبطها متلبسةً بالضحك

تنادي
كلُّ الجهات مرايا نور
مطارقُ مغسولة بالمطر
والشمس
والبحر
والليل
والقلم
كلُّها تشرق من جهة القلب
ولا عشيق في الرفيق

آه
يا أنت
أيُّ كفن أبيض يتسع لكلّ هذا الجرح

وقرب أيّ سعةٍ ستحفر قبراً
يتسع لاثنين
أنا وأنا في الموت
فماذا سوف نكتب على الرّعدة الصّماء
في سكوتنا
والشوق الكامن ابن الحبّ الضال
يتأوّه
فتكفيء دمة الصبر في جفونه
نقشاً بربري الطبع
نقرؤه

بلا موعد
قاب جرحين أو أدنى
لتسيل الصَّدْفَةُ وتنوح
على رجوع صدَى ... لكلامه
أحبك على هواي
هو قالها
وتعتقَ طعمُ الشوق في جرار الهوى والدنف
فدنا
ونما غصنُ أيامه في السحاب

ليس مثلي
يهجسُ بالتراتيل مجتمعةً
ويتلبسُ التعاويذ
خاطرُهُ أن يترجم الظلمةَ
ويردّ عن القلب الغمّة
إذا ما ظلّ بي

ظُلُّ آهةٍ شالي المسافر في جدائل الرياح
مرة إثر مرة
أعود بقيظ الأسئلة
من لحظات الغفلة في واحتك
فجيش غربانها الناعقة يرقب جثماني

المزرق

في ديب الخطى الخدرة
أعود وأعيد تشكيل الملتبس
أحرر ما احتبس في دمي
أوقظ خلاياي الخافتة
أجددها

وأنبض بلثغة القمر النعسان حتى أسيل عن آخري
من غير سوء بياضاً
أهدد الكلام الخائف
لا ترمش لي طرفة عين

فما ارعويتُ
ولا اخترتُ
ولا نكستُ رأس الحياء
على شفة ملجمة
ولا ذللتُ الصعب من رؤيا لا تهجيء
فما زالت الأصابع الثكلي
تنقب عن بقاياي
عما خلفته في من أثر بعد عين
فكلّ عمر أثر بعد عين
وكلّ مانصّدق .. كذب
نحن الأشباه الغارقة بالخطيئة

أَنْصْتُ لصلالي المَهَّشَمِ
وَأَدْحَرْجُ الصوت إلى بئر راکدة
أَصِيخُ البصر
فلا أَرَانِي
ولا يرى بصري
مملّ ومضجر
هذا التبجح والتنطح
لكن ما دمنا فاعلين
وإلى مَأْرَبْنَا صاعدين
عليّ فضلُ البحث عنك
ولك فضيلة الضلال عني

ونحن الخياران المتوازيان
لحقيقتين
متحدتين
في جوهر سريانهما
لشمس حارقة
وشمس حانية
برّ وبرّ

وتلك اليدُ التائقةُ لذنبها
أهي يدي
تَكْفُرُ بخمسِ نداءات
وكلامِ معشوشبٍ فوق زندِ الماء
أم تلك يدٌ يرّن خبثها
في جرارِ النداءِ الخسنة
حتى تكفّر عن رجسها
وتتحبّ
تحت خطوي النادم
فأجفل وأطفئ المصباح
حيث لا تختصرني
قطعةُ السكرِ المشتهاة

بروحي البردانة

عالٍ
حيث اللامكان
غالٍ
حيث الخلود والأبد
ما اخترت سواك
أيها الحرف المشاكس
وما درأتُ قبيلةَ الأسئلة
بلفظ مقنع عنك
بأنّك تمرض
وبأنّي أُرعاك
وأدلك مفاصلك
وأنّك تفرّ من قفصي المتآكل
نمراً جائعاً
يلتدّ بافتراس وهني

وجنوحى للسأم
حين تُلبسُ العتمةُ ثوبها للمدى
وسرعان
ما تمسح الشمس بيديها
نافذته
فينور
وتأتي حبساً في زنانتك
يسبقك المدى خانعاً

خلفك خلفتُ
تلاّ من الضحكات
وزنرتُ المساءات بوعود من هلام الأمان
صرتُ طفلةً على غير ما غفلة
تمشي على حافة الحرف
غير آبهةٍ

تقلُّ من هيبة الموت
ترقبهُ بعين مفتوحة عن آخرها
لك

وحين انشغلتُ بي
كنتُ أحفرُ سرداباً خفياً
وصلتُ به آخر السواد
رأيتُ هناك النور
وضيّعتك

تلك المحبة وهب
والحب عطايا لا يبذلها إلا أنا
نمطرها تنمو
نجسها تُحبس
فكيف جرى أن تمطرها أنت
وأحبسها
هل غيَّضَ الماءُ

نعم

ونيروز المسرّات تناغت أزاهيره
تمحو الروح
وتلف ألوانه كتف الضجر
فتصحو المرايا وتتغندر في مائها
وأرقب جلاله الجمال
بقلب واعظٍ

يستحضر أشباح الماضي في الغربة
ويراها عتمةً ترقص بسفورها
ويرى الأطياف ترفل في ثوب عافيةٍ
فيحمد النسيان
وينجو بها لا يتذكر
من تفاصيلٍ موجعةٍ لنهاراته
الملتئمة
في فنجان القهوة المنّدة
برائحة الشوق

التي ألقم ماءها تلك الصور
ففتكت به قشعريرةً الهذيان

مبكيةً صورةُ العرين الخراب
إنْ اهترأت لبدة الأسد
وضلّت اللبؤات
فلا فرائس

ولا ضعائن

لا تطلل لذاك العرين
ولا دار تتعلّل حجارتها بأطلاله
صُورٌ

وخيالات

صُورٌ حين تواجه جوهرها تبهتُ
والجوهر حين يغادر قراره يجد الصورة أفسى
أشرس

كلّ سراب لا يسمّن
لا يغني من جوع
أيّ سراب
والقمر الظافريتها هي ويشدنا
لشلالٍ من السرد
عن معنى البوح
وتورية الحكاية
وأنت تكتب قلبك المعلق في البعيد
مندحر المزاج
يهزأ المجهول بك

فهل تشبه قيصر روما
وصوت ضحكه جلجلة سطرها
الرماد
وعصفُ الريح
يعوي بتارينها
«لا حول ولا قوة لروما إذ عاشقها مجنون»

وأنا روما المحترقة فيك
التي عادت مبكرة كي تهرب من الإطار
واللوحة الرمادية
غرت مني
حسدتي
وها أنا ذي رهينة لرمد عيوني
ألملم ذراتي المتعبة الحائرة
أتصدق بي عليك
وأزكي نفسي فيك
وروحي
ولأنك المحروم
ظننت أني لك
ودعوت بأن يحرسني الغد
أرعى بذوره راضية

وأقلم رعونتها
ساخطة
ويقيني أنَّ ثوب الفرح مقدّر
فبأي عين نرهقه
وكلّ ما فينا ملطخ بالصغار
معجون بسرّ يالية المشهد الدامي
ونحن
كأن لاعين فينا

.....

طَابَ
الْحُبُّ
الشَّهْدُ
الْوَجْدُ
الْوَلَعُ
الْوَرَعُ
إِنَّهُ بَعْضُ صَلَاةٍ
وَالْغَارِقُ فِيهِنَّ صَلَاةٌ بِصَلَاةٍ

ف يالي
منذ الأربعين سنة
مازلت أحلم بوسادة
من ضوء
تحملني بعيداً بعيداً
يحدث هذا معي
في كلّ مرة أغمض فيها عيني
وليس شرطاً أن أنام

وأصحو
والفنجان الحيران على مرمى عيني
ذات الفنجان
كلما أمسكته من أذنه
وأنبتهُ
سارعتُ بتقبيل شفته السفلى
وشربتُ سوادَ أيامه
رشفة
رشفة
قهوة
قهوة

وفي الركن البعيد
حَصَّالَةُ القروش
تذرف دمعاً
ألمحها
وكلما ذكرتها بغياها
تقول هل من مزيد
هل للوضاءة والبراءة فيها ثمن
هل لليتيم فجراً
على خاصرة عكا ثمن ؟
هل نعود ؟
اااااه

كم يحملنا الحنينُ
يُحِيلُ جَنَحَ الرمادِ جِمْراً
كي نتدفأ بالخديعة

فلها الطهر وحدها
مريمُ المجدِ
وعلى الأرض السلام

ويكفينّا أنا
مازلنا نزرّ أحاديثَ الجدّات في صررهن العتاق
ونصدّقُ أن لنا بيوتاً
وفُلاً
وشمساً فوق روايينا لا تغيب

وداعَتُنَا الغامرةُ حيثُ الوطنُ هناكُ

بيتُ الروح

وحيثُ أحبَّابُها

أحبَّابُهُ

يفيضون سخاءً دونما غاية

هو الفرْحُ الطفوليُّ
المتعرَّشُ جدرانَ البعيد
كان فيه لنا موطئُ قدم
وبئرٌ نرْمِي دلاءَ الفحولة فيها
وموردُ ماء نكتب حكايانا على صخوره المشبَّعةِ
الريّانةِ
نرمّمُ بأبيض حجارَتِه مآقي صبايانا
اللواتي صرن نساءً
يؤزّهن أولادهن
يرسلنهم طروداً مغلّفةً
لليالي الغربة الباردة الطويلة

أقربُ من موتٍ
وأبعدُ من لقاء
ذاك الذي تجدينه بين الجفنِ والجفنِ
يفترشُ بساطَ الرموشِ الملبدةِ بِكُحْلِها المبلولِ

يصحو بين يديك فجراً
يتوسد ذراعك
ويوسدك الحياة
كم كانت خائبة تلك البصارة
حين أسرت بتلك البشرى لي
وكم كنت أفيض فرحاً ببصيرتي
وأنزُّ وعداً

فحوشٌ مراجيحَ قهقهاتنا
وما تجودُ به آهاتي
صخبَ الذوبان أيضاً
وصرامةَ الوعد
فلا شيءَ فوقَ تراب الأرض
إلا القيظُ
فأرأفُ بكَ
وحوشني

كم بي من الأطياف
محكمةُ الإغلاق أقفاصُها
وأنا طيفٌ

لكن
دوماً عصيُّ على الأمر
ينثالُ بين القضبان
ويتجولُ

في الأرض
يقبَلُ ما يشاء
يسلّم على مَنْ يشاء
يا له
كم يستسلمُ للنوم ويسافر

وما زالت صباحاتُ القهوة تلك
فيها خزينُ الذكرياتِ
مع كلِّ رشفةٍ يلوحُ طيفُ مَنْ مرّوا
ويفيضُ ذكرهم
وَمَنْ ظلّوا حلماً يراودني عن نفسه
نَزْدٌ
وَحَجَلٌ
في القهوة
وحجرٌ خيميائي عصيّ على الطحن
أو الغليان

فيا الصورتنا في الأزل
وصوتنا المظلوم
وَصُرَّةُ الأحباب التي نبحت عنها دائماً
في زوايانا الأثرية
ومستودع أسرارنا

هي الأرض والطلح
هي الأم والنض والجرح
تمتحنُ أشواقنا حين ترحلنا في الأصقاع
فيا لها من منبت لا تقرّ به عينٌ
ولا مفرّ منه
حين تأتي وادعة الضجر
ويطيب له في حضرتها
أن يلثغ بمعناه المتواري
ذاك الغروب
ويد العمر المسافرة
التي كلّ يومٍ تذوّب من أصابعنا إصبعاً
وتركنا في تمام يقيننا بالنقصان

هي الأرضُ
وهو يومٌ آخر
أقضمُ حوافَ ثوانيه كقطعة خبز ناشفة
أوسدهُ أمنيَّ وأطرحُ عليه ألفَ سؤال

كُنَّا
وكانت
وكان
كَوْنٌ بثلاثة أحرف
صِرْنَا
صَارَتْ
وَصَارَ

صيرورة تشكُّل عقد أيدينا
لَمَّا
فتقنا اللغة عَمَّنْ محَا
وشَمَّها في البلاغة
فظلَّتْ مشلولَةً آيُها
والنصّ يناغي أهْلَتَه الباسمة

ويسرد عليها ما فاتها
من غواية القصص
لما توارت خوفاً من الاكتمال

وغاصت ببحر لا ينام
يسدلُّ عباءته السوداء ليلاً
ويلبسُ قفطانَ السماء في صباحاته المبلولة بأهداب الفجر
وبينهما يحرسُ كائناته مخلفاً لعشيرة العشاق
ميراثُ الخوف من الغرق
ووحدي عدتُ
محملةً بالصهيلة
وبأزرق الطاولة
والكثير الكثير من الشوق

سنمطرُ الأرضَ بالزكيِّ منّا
بما يفرحُ قلبها
كلّما جمعتنا
وظلّلتنا الغرّةُ
بسترِها وبحرِها

وبعض أمانى نتراشقُها حين نَمعن في التذّكر

تصبحُ على رَعونة

على كتاب

تصبحُ على نصّ

على كيانٍ حيّ فيك

وعلى حبّ

تحيا

حين تكون البقية فائضَ ذاكرةٍ مخمورة
ترتّبُ الخرابَ وتطرّدُ غربان المهجير
والهاجرة
حين نتفياً قلنصوةً
ونرّد النصال التي على النصال تكسّرت
ونخفَ
نخفُ
حتّى لكأنّنا نظير

فصباحُ الغربة
وطيرُ الوحشة الظمآن
صباحُ الرحيل على بساط الموج إلى كفّ أمي
لأنّ صباحاتنا ناشفة
تلوبُّ على قطرة تردّ
رَمَقَ يومنا الأسيان

وهو الغطيٓطُ
بُعَيْدَ هاجرة الضحى
نديمُ ورق العمر الآفل
ودليلُ الأيام الآيلة للسكوت على السقوط
هو قلةُ الجنون
في عزِّ الحبِّ الآبق

قطراتٌ بيضاءُ
من غيرِ سوءٍ
تنزُّ
ترشحُ من جِرابٍ عتيقٍ فتترآى
أمشاطاً تعصرُ أروادها الليلية
وتطيرُ
تحدودُ على ذاتيتها
باكيةً خجولة

تَحْطُّ عَيْنُهَا عَلَى غَزَلَانِ الْقَدَرِ
فَتَشْكُ وَاحِدًا بِطَرَفِهَا
بَلَحْظِهَا تَوَاعِدُ آخَرَ
وَرَانَةَ تَرْقُبُ الْمَشْهَدَ بِلَا مَبَالَاةٍ
رَانِيَةً فَقَطْ
لِبَاقَةِ أَفْكَارِهَا الْمَوَارِبَةِ
وَرْنَيْنُ صَوْتٍ
يَرْنُ
رَنَّةً
رَنَّةً
رَنَّةً
فِي حُرُوفِ اسْمِهَا الْمَوْحِشَةِ

من أزرقها بغموضه الحاني
للأحمر بفجوره القاني
إلى الأخضر بعلوائه السندسية
للأسود بحداده الباسل
للكفن الذي
يكفُّ عن كلِّ شيء كلَّ شيء
فيتناثرُ كلي
أبيضَ

فالحقُّ بركابي
وأنز أقبيةَ الأسئلةِ
أرقِّ لكلِّك فيَّ

أنا لا أتغندرُ
لا أَمِيلُ على بعضي
وكَلِّي يُصارَ عني
وأنا امرأةٌ في حنو النار
ووقار الكرم
المتراصةَ عناقيدُ
خوفَ تهمسٍ بأسرار الشفاه
وحسرة المتعقِّ من نبیذها
في الفراغ
في البؤرة الكالحة من ضجر المخلوقات

لا أتغندرُ حينَ يحرنني الصراخُ
ويزرعُ كلالِيه في مسامي
ولا أعلّقُ آهتي على قناديلِ شفقٍ مطفأ
فاتركُ لي شهيقِي المديد
وظلالَ اليدِ المغروسة في أكاليلِ غبطتي
فمن كلِّ جهاتي
أقطرُ شوقاً
وأذوي .

فيا للخيبةِ
خيبتُكَ
تطرّزها الحروفُ
وتحشوها الكلامَ الطريّ
مندىً .. معسولاً
حين أمرُّ بخلدك

دغلاً لا يحفلُ بالكلام
يشتاقُ آسادَ الرؤى
ويعافُ طرائدها
يحطُّ عليها يبلُّ جموحها بعليائه
ويغرزُ أنيابَ كبريائه فيها

للأرض نواويسها
التي بأيامها تجري
ورياحها
وبما لا نشتهي
ونشتهي
أن نحدّقَ فيها لنرى عورتنا الفاضحة
في شيخوخةِ العمر

وَأَنْتَ
الظَّمَأُ يَرْوِي انطفاء الخبر
على صفحة ناشفة
يقولُ ما لا يعنيه
ويعني ما لا يقوله
يحبُّ اللاحِبَّ
لَمَّا أَطَوَّقَهُ .. وَأَحْتَكُرُ معانيه
وبلا هوادة
وبخفّة لا تُلمَحُ لا تُحَسُّ
يلملُمُ حقائقه
ويغادرني

قد صرْتُ بدوني
لا أعرفني
هذا ما يطلبه حادي الحبِّ
صرْتُ سواي
وللحظة
ما فكَّ
ولا سَيَّلَ شمعَ الروح الأَمر .

هو فرق الحبّ
أم فرطه

يحملنا
فرق الحبّ
أم فرطه
يصير ما نحنه سوانا
كي نقرأ البوصلة
حين يلوب فينا
وينذلّ هواه

إِنْ كَانَ كَذَلِكَ
لَمْ حِينَ أَبْحَرْتُ فِيكَ
أَظْلَمْتُ
وَكُنْتُ مُقْبِلَةً بِعَرَسٍ مِنَ النُّورِ
لَا يَنْطَفِئُ

وَعَلَى طَرَفَيْ نَقِيضِ كُنَا
وَلَمْ نَنْتَبِهْ

محمومةً عدتُ...
كلّما قلّبتُ كلماتك
وقعتُ على الجمرِ يفترسُ رُوحِي
وأنتَ عن غيرِ قصدٍ هنا
فأفضي بنا إلى كلّ هذا الضلال
ولم تكتب
ولم أكتب أيضاً

لكننا التقينا في الكتابة
لا طقسَ لبذرِ السلام
ولا طقسَ في طقسِ الفرار
ولا في المزاج حين يكشفُ خيانتَهُ
وتغفو العينُ على عتمَتِها
تقفُ عتمَتُها العتمةُ

وقربك
سوقُ جوارٍ
وحرائرٍ لحريرِ ثيابٍ هنديةٍ
أيها القرصان لمغانمك
وذللّ الأميرة وهي تكشف عن ساقِها
فيك

فكيف يصيرُ الكلامُ فخاخاً
وحبائلاً يوهنها
أنا صدّقنا كذبتنا
وتعلّقنا فيها
كحبالِ السيرك
ونحن المتلونون المهرجون
لا نسّمي الأشياءَ بمسمياتها

تلك صورته فينا
نضلل الملامح في الطفل
نملأ أيامنا زهراً
ونعصر القلب
فلا تضيء عتمته

فَسَمَّ مَا بَيْنَنَا
كَشَفًا
قُرْبًا
وَلَا تَسَمَّهُ حَبًّا

فَالْخَسَارَةُ فِي الْحَبِّ دَوْمًا
وَضَلَالُ الصَّحْبَةِ
وَالضَّحْكَةُ
وَرَجْفَةُ الشَّهَابِ الْخَائِفِ

وهو الفقدُ في كل شيء
على كل شيء
محكومٌ بالحرمان

ولا تجري بعدُ في دمي
لا أشتاقُ
من أوّلِ وردةٍ زَرَعَتْها في طينةِ جسدي
وماءِ روحي
فقد انقلبَ السحرُ عليَّ
وأطلقَ حزني عن آخره
وارعوى
عن الشعرِ وخيالاته
والصُّور

لا أَكْتُبُكَ إِلَّا وَقَلْبِي مَثْقَلٌ
وَجَمَلَةٌ مِنْكَ عَالِقَةٌ بِي
تَقْضُ مَضْجَعِي

فالكلام حين يأخذه الشبه للشبيه
يقتلُ الروحَ الوثابة

وتعبي

تعبي
أقسمُ به

عندما يغلبني على أمره

فيا للعشّاق وأنفاسهم المهترئة
كلُّ حروفهم سَكْرَى
لو أنّهم يفيقون
يستيقظون

متفحّم جمرهم
مكلومة أرواحهم حتى التيه
لا صوت في أصواتهم
ولا خشب يابس ... تحت أقدامهم
يتعهد اتزانهم

فكلنا غيابٌ
ولا نغيبُ
وغداً لك مثل أمسك
في الحصاد
وما زرعت

وكلّ ما وصيّتُ به

قلتُ احفظْ ثقتي

قلتَ الأغيار

قلتُ افهمْ ظمأِي

قلتَ أنا العطشان

قلتُ استأسدْ

قلتَ

طريدي أنتِ

وأنا الضحيةُ

قد

نفضتُ جلدك عني

إِذَا
فَمَا زِلْتُ أَفْعَى تَشْمُ جِلْدَهَا
لَتَغْدُو أَجْمَلُ زَحْفًا وَمَوْتًا
حَتَّى لِّلْمَوْتِ
مِثْلُ الْحَبِّ
دَائِمَةٌ مَوْجَعَةٌ بِنَا

كما البدرُ
حتى باتضاحه
عُريانٌ وحيد
لا يترك للفجاءة موضعَ نبضٍ
حين يترك الأشياءَ
راجفةً في الغناء
والزبد

وصباحُكَ وصباحي
يفتُحُ أزرارَ الكلام
وينأى عن الضوء خجلاً
من خيبتنا الأخرى

وحدهُ يجرسُ صورةَ المحبوب كما يشتهي

ويحفظها

بإطارِ الصمتِ

حين يكونُ سهوَ المحبِّ عن البوح

وتباغته الأحوالُ ليتقلبَ في دفاترها

مريضاً ولهاناً

متركئُ المشي

ورؤاه في خدرها مستلقية رمتْ شالها تعباً

والتيعاً

في فسحة العزاء
وفي الحيّ الذي لا يموت
أتوضأ زُهدَ حروفي
وأيمّم وجهي صوبَ الورق
وأعلّقُ أورادي ودعائي
علّني أدنو

إذ لا متسعٌ في الأرضِ لمن يَنَحِرُ أوهامَهُ على مصاطبِ التمني

الأرضُ
ليس لها بيتٌ تأوي إليه
لا بيت في بيتها أو سقفٌ موحش
وما بيننا
فيئٌ وكسرةٌ حنين
كلامٌ لا أحبُّ آفاقه
ومُخاصمةٌ ذابله
طبعٌ مختلٌ
وتعاليمٌ ساذجة

يَتِيمَةً كُنْتُ
وَضَالَّةً فِي الْمَرَارَةِ
أَحْبَسَنِي بَيْنَ مَرَابِعِي
وَأَحْلَقَ كَالنَّارِ تَطْفِئُهَا فَرَاشَاتُ التَّمَنِّي

أُتْرَى مَا فَعَلْتَ بِي

أَرْحَلْ إِذَا
وَدَعْ قَامَتِي الْمَهْوُورَةَ بَعْنَفَوَانِ فَرَائِسِي
وَتَرَجَّلْ

تَمَامُ الْقَلْبِ اسْتِقَامَتُهُ
وَجَدْعُكَ مَحْنِيَّ يَابَسْ
وَتَمَامُ الرُّوحِ ضَمُورُهَا
وَصِرَاحُكَ طَاوُوسٌ جَائِعٌ
وَتَمَامُ الْعُمُرِ اكْتِمَالُهُ

وتمامي أنتَ
لو عرفتني ذاتِ نقصٍ وذبولِ

لو عرفتني
كما يليقُ بفارسٍ يتمخترُ
يشعلُ حطبَ اللوعةِ
في سكونه وصرير أضلاعه البردانة
ينبغي بصمتِ كبريائه
أفعوانَ النشوةِ والخدرِ في الشفاه المخمورة
فللبحر ما له
وما عليه
لآلئُ فاضت عن عتمة أعماقها
ومحاراتُ توضحأتُ بصدر
الأميرات وَصَلَّتْ بأعين الناظرين
قبلةً الاشتهااء تلك
قبلةُ العاشقين حين قصّرت أيديهم عن الكمال

لا بيتَ للبيت
لا بيتَ للقلبِ
فيا لحرفكَ كيف يغادرُ حِجَّتَه ويمضَى للسراب
لربما يستوحش يوماً
يشتاقُ لفجري
لشمسي
ليحرقَ ما قدَّمتْ يداه

لا بقية للحكاية
هو الزهو يغتالُ أفراحنا
ويتركنا ذابليين
صرعى

تُنَبِّشُ أجسادُ قبورنا تجاعيدُ قادمة
وملامحُ قاسية
وما زال ثمة من يؤدي واجبَ العزاء.